

الفصل الثالث

مناهج الدعوة

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

- ١ - التعريف بالمناهج الدعوية وبيان أنواعها وأهدافها .
- ٢ - التعريف بالمناهج الثلاثة : « العاطفي ، والعقلي ، والحسي ، وبيان أساليبها ، ومواطن استعمالاتها ، وخصائصها » .
- ٣ - الملامح العامة للمناهج ، وخصائصها العامة .

المبحث الأول

« التعريف بالمناهج ، وأنواعها ، وأهدافها »

أ - التعريف بالمناهج الدعوية :

سبق أن عرفنا مناهج الدعوة في التمهيد بقولنا :
مناهج الدعوة هي : « نُظْم الدعوة ، وخططها المرسومة لها » ،
فيقال :

نظام العقيدة في الإسلام ، ونظام العبادة ، ونظام الاقتصاد ...
وما إلى ذلك ، كما يقال :

نظام التبليغ ، ونظام التعليم ، ونظام التطبيق ... وهكذا ...
كما يقال :

المنهج العاطفي ، والمنهج العقلي ، والمنهج الحسي ...

ب - أنواع المناهج الدعوية :

نظراً لكثرة أنواع المناهج الدعوية وتعددتها ، يمكننا أن نقسمها من
أربع حيثيات ، هي :

١ - من حيث واضعها ، أو مصدرها .

٢ - من حيث موضوعها .

٣ - من حيث طبيعتها .

٤ - من حيث ركانتها .

١ - التقسيم الأول : من حيث واضعها ، أو مصدرها :

تنقسم المناهج الدعوية من هذه الحثيثة إلى قسمين أساسيين ، هما :

أ - المناهج الربانية : وهي المناهج التي وضعها الشارع لهذه الدعوة عن طريق القرآن أو السنة ، فهي مناهج معصومة عن الخطأ ، وأصل للمناهج الدعوية كلها ... قال تعالى :

﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (١)

ب - المناهج البشرية : وهي المناهج الدعوية التي يضعها الدعاة والعلماء باجتهادهم في أي جانب من جوانب الدعوة ، تطبيقاً للمناهج الربانية ، واعتماداً عليها ، وذلك بما يتناسب مع زمانهم ، ويتلاءم مع ظروف المدعوين من حولهم .

وهي مناهج تحمل الخطأ والصواب ، كأي مسألة اجتهادية لا يعدم المجتهد فيها أجراً أو أجرين ، وللدعاة أن يأخذوا منها أو يتركوا ماشاءوا ، اللهم إلا مناهج الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم التي أمرنا بالتزامها والأخذ بها والعرض عليها بالنواجز - كما سبق معنا في بيان مصادر الدعوة - .

٢ - التقسيم الثاني : من حيث موضوعها :

تنوع المناهج الدعوية من حيث موضوعها إلى أنواع عديدة ، تبعاً لتنوع الموضوعات التي تتناولها ، وذلك لشمول الدعوة الإسلامية لجميع جوانب الحياة الإنسانية ،

(١) الآية / ٤٨ / من سورة المائدة .

فهناك مناهج عقدية ، وعبادية ، واجتماعية ، واقتصادية ، وعسكرية ، وسياسية ، وصحية ، ورياضية ، وترويقية ، ... وما إلى ذلك .

فإن لكل جانب من هذه الجوانب خطأً ونظماً يضعها الدعاة والمرّبون ، في ضوء المناهج الربانية ، وعلى أساس الأحكام الشرعية .

٣ - التقسيم الثالث : من حيث طبيعتها :

تتنوع المناهج الدعوية أيضاً من حيث طبيعتها إلى مناهج دعوية خاصة وأخرى عامة ، وإلى مناهج فردية وأخرى جماعية ، وإلى مناهج نظرية ، وأخرى تطبيقية ... وهكذا ...

فلكل منهج من هذه المناهج طبيعته الخاصة به ، وميدانه الذي وضع له ، فالمنهج الخاص لا يصلح تعميمه ، والمنهج العام لا يصلح تخصيصه ، وهكذا ...

وقد جاءت الشريعة الإسلامية بأمثلة كثيرة لهذه المناهج العامة والخاصة وغيرها .

فقيام الليل كله أو بعضه وجوباً ، منهج عبادي خاص برسول الله ﷺ (١) .

واستئذان الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم أو الذين بلغوه ، نظام خاص بهم ... (٢)

(١) انظر آيات سورة المزمل وتفسيرها .

(٢) انظر الآيات / ٥٨ - ٥٩ / من سورة النور ، وفي الآيات التي بعدها أنظمة خاصة أخرى ...

وهناك نظام عبادي عام يتجلى في أركان الإسلام العملية ، وهناك نظام لدعوة المسلمين ، ونظام لدعوة غيرهم ، وهكذا ...

٤ - التقسيم الرابع : من حيث ركائزها :

تتنوع المناهج الدعوية بجميع أنواعها السابقة من حيث ركائزها ، وذلك تبعاً لتنوع ركائز الفطرة الإنسانية الثلاث : القلب ، والعقل ، والحس .

فما كان من المناهج مرتكزاً على القلب ، سمي : (المنهج العاطفي) .
وما كان منها مرتكزاً على العقل ، سمي : (المنهج العقلي) .
وما كان منها مرتكزاً على الحس ، سمي : (المنهج الحسي) أو (التجريبي) .

ولا يمكن الفصل التام بين هذه المناهج نظراً لتلازم وترايط الركائز الفطرية في النفس البشرية ، فيكون وصفها بهذا النوع أو ذاك ، تبعاً لغلبة أو بروز هذا الجانب على غيره ...
وسياتي معنا تفصيل هذه المناهج الثلاثة في المباحث التالية إن شاء الله .

ج - أهداف المناهج الدعوية :

الهدف في اللغة : « الغَرَضُ تَوَجُّهُهُ إِلَيْهِ السَّهْمُ ونحوها ، والمطلب يوجه إليه القَصْدُ »^(١) .

ومن هذا المعنى اللغوي يمكننا تعريف الهدف الدعوي : (بالمطلب

(١) انظر « المعجم الوسيط » مادة (هدف) (٢ / ٩٨٧) .

الذي يوجه إليه الدعاء قصدهم ، أو بالغاية التي يسعون من أجلها) .
ومن هنا استعمل الهدف والغاية أحياناً بمعنى الحكمة المرجوة من
وراء الأمر بالشيء ، أو تشريعه ...

ويمكن تقسيم الأهداف الدعوية إلى نوعين أساسيين ، هما :

١ - أهداف خاصة وجزئية .

٢ - أهداف عامة وكلية .

فالأهداف الخاصة والجزئية مثل : الغاية التي شرعت من أجلها

العبادات ، كالصلاة والصيام والزكاة ، والحج ، قال تعالى :

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ... ﴾ (١)

وقال أيضاً :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ، لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ... ﴾ (٢)

وقال :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ، وَصَلِّ

عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ... ﴾ (٣)

وقال أيضاً :

﴿ ... لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ، وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ

مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ (٤)

(١) الآية / ٤٥ / من سورة العنكبوت .

(٢) الآية / ١٨٣ / من سورة البقرة .

(٣) الآية / ١٠٣ / من سورة التوبة .

(٤) الآية / ٢٨ / من سورة الحج .

والأهداف العامة الكلية مثل :

ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (١) .

وما جاء في الحديث الشريف :

« إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوْفُ بِالْبَيْتِ ، وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، وَرَمَى الْجِمَارِ

لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ » (٢) .

وهذه الأهداف العامة الكلية تتنوع إلى نوعين :

١ - أهداف مجملة .

٢ - أهداف مفصلة .

فالأهداف المجمعلة ، مثل قوله تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ ، وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ ﴾ (٣) .

ومثل قولنا في هدف العمل الدعوي :

« تحقيق مرضاة الله عز وجل على جميع المستويات ، وفي جميع

الميادين » .

الميادين » .

والأهداف المفصلة ، مثل قولنا في تفصيل الأهداف الدعوية

العامة :

١ - إحقاق الحق وإبطال الباطل : قال تعالى :

(١) الآية / ١٤ / من سورة طه .

(٢) ساق الحديث صاحب « جمع الفوائد » محمد بن سليمان المغربي وقال عنه : للترمذي وأبو

داود بلفظه ، انظر رقم (٣٤٢٥) (٥١٥/١) طبعة دار القبلة جدة .

(٣) الآيات / ٥٦ - ٥٨ / من سورة الذاريات .

﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (١) وقال :
﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ (٢) .

٢ - إنقاذ الناس من الضلال إلى الهدى ، ومن الظلمات إلى النور :
قال تعالى :

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ،
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ ، يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ
إِلَى الظُّلُمَاتِ ... ﴾ (٣) .

٣ - بناء الشخصية المسلمة والمجتمع المسلم : قال تعالى :

﴿ قُلْ إِن صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *
لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ ، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٤) . وقال :
﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ، يَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِهِ ، وَيُزَكِّيهِمْ ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ، وَإِنْ كَانُوا
مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٥) .

ومثل قول ربي بن عامر رضي الله عنه حين عبر عن أهداف
دعوته ، والغاية من جهاده ، فقال لرستم :

« اللَّهُ ابْتَعَثَنَا لِنُخْرِجَ مِنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ ،

(١) الآية / ٨ / من سورة الأنفال .

(٢) الآية / ٣٩ / من سورة الأنفال .

(٣) الآية / ٢٥٧ / من سورة البقرة .

(٤) الآية / ١٦٢ - ١٦٣ / من سورة الأنعام .

(٥) الآية / ٢ / من سورة الجمعة .

ومن ضيق الدنيا إلى سَعَتِهَا ، ومن جَوْرِ الأديان إلى عَدَلِ الإسلام ... الخ»^(١) .

فهذه كلها أهداف عامة مفصلة لمناهج الدعوة ، وغيرها كثير تختلف أساليب العلماء والدعاة في التعبير عنها ...

ومما يحسن التنبيه إليه في موضوع أهداف الدعوة أمران ، هما :
١ - إن لتحديد الأهداف الدعوية ، ولاسيما عند واضعي المناهج فوائد عديدة ، منها :

أ - السلامة من الانحراف عن طريق الدعوة .

ب - الوضوح في أسلوب العمل .

ج - الاستمرارية في الدعوة .

فإن عدم تحديد الأهداف ، قد يوقع الداعية في الانحراف عن طريقه ، أو يجعله يتخبط في أساليبه ، أو يقطعه عن الاستمرار في دعوته ... كما هو ملاحظ في واقع كثير من الناس .

ومن هنا جاء تعليق التأسى برسول الله ﷺ بتحقيق صفتين هما :

١ - الوضوح في الهدف والغاية ﴿ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ .

٢ - عدم الغفلة عنه ﴿ وذكّر الله كثيراً ﴾ .

قال تعالى :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو

الله واليوم الآخر ، وذكّر الله كثيراً ... ﴾^(٢) .

(١) « حياة الصحابة » للكاندهلوي (١/٢٢٠) .

(٢) الآية / ٢١ / من سورة الأحزاب .

وما قَصُرَ مسلم في هذا التأسّي به ﷺ إلا لأحد هذين السببين
والله أعلم .

٢ - ليس من الحكمة دائماً في الدعوة إلى الله أن يُصرَّحَ الدعوة
بأهدافهم التفصيلية المحددة ، فقد يزيد هذا من تریص أعدائهم
بهم ، ومكرهم بأهل الدعوة ، فإن في التصريح بالأهداف العامة
المجملّة والاکتفاء بها مندوحة عنها .
كما قد تكون الحكمة في بعض الأحيان في التصريح بها ، والنص
عليها ، فالداعية الحكيم هو الذي يختار لكل موقفٍ مايناسبه .
وإن في القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والسيرة العملية للدعاة
مايؤكد هذا الأمر ويوضحه .

* * *

المبحث الأول

« التعريف بالمناهج الثلاثة (العاطفي ، والعقلي ، والحسي) وبيان أساليبها ، ومواطن استخدامها ، وخصائصها » .

وقد خَصَّصْتُ المناهج الثلاثة بمبحث خاص نظراً لأهميتها وكونها وصفاً عاماً لجميع المناهج الدعوية من جهة ، وبياناً لتلازمها وتداخلها من جهة أخرى .

١ - المنهج العاطفي :

تعريفه :

يمكننا تعريف المنهج العاطفي بتعريفين هما :

أ - « النظام الدعوي الذي يركز على القلب ، ويُحرك الشعور والوجدان » .

ب - « مجموعة الأساليب الدعوية التي تركز على القلب ، وتحرك الشعور والوجدان » .

وذلك لأن النظام الدعوي لا يظهر إلا بمجموعة أساليبه ، التي تُعدُّ كفاءات لتطبيقه ، - كما جاء معنا في التمهيد ، والتعريف بمصطلحات البحث - .

أبرز أساليبه :

من أبرز أساليب المنهج العاطفي ما يلي :

أ - أسلوب الموعظة الحسنة : وأشكاله كثيرة منها :

- ١ - الخطابة .
- ٢ - التذكير بنعمة الله على عبده المستوجبة شكره .
- ٣ - مَدْحُ الداعي للمدعو أو ذمه ، وذلك بذكر خصائصه ومزاياه ، أو بذكر معايبه وأخطائه .
- ٤ - الترغيب والترهيب ، وذكر الثواب والعقاب .
- ٥ - الوعد بالنصر والتمكين ...
- ٦ - قَصُّ القصص العاطفية المؤثرة .
- وما إلى ذلك من أساليب تدخل في باب الموعظة الحسنة ، وقد نص القرآن الكريم على أسلوب (الموعظة الحسنة) نصاً صريحاً ، وأمر باستخدامه ، قال تعالى :

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ... ﴾ (١) .

ب - إظهار الرأفة والرحمة بالمدعوين : ويكون بكلمة طيبة مؤثرة ، مثل المناداة بكلمة : « يا أبت ، ويا بني ، و يا قوم .. » وقول الداعي للمدعو : « إنني أحبك » وأخشى عليك ، وما إلى ذلك ... ، أو بمشاركة وجدانية في موقف ، أو بمساعدة شخصية في أزمة ... وهكذا .

قال تعالى :

﴿ فيما رحمة من الله لئن لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب

لانفضوا من حولك ... ﴾ (٢) .

(١) الآية / ١٢٥ / من سورة النحل .

(٢) الآية / ١٥٩ / من سورة آل عمران .

ج - قضاء الحاجات ، وتقديم المساعدات ، وتأمين الخدمات :
ويتنوع هذا الأسلوب بتنوع الحاجات المطلوبة ، والمساعدات المقدمة ،
مادية كانت أو معنوية ، قليلة كانت أو كثيرة ...
فجميع هذه الأساليب وأمثالها تشكل ما يُسمى « بالمنهج العاطفي » .
وسياتي معنا في مبحث الأساليب الدعوية ، أمثلة تفصيلية لكل
شكل من أشكال هذه الأساليب - إن شاء الله -

مواطن استعمالاته :

يستعمل المنهج العاطفي في حالات متعددة ، ومواطن متنوعة ،
يحسن بالداعية أن يتعرف عليها ، ليتمكن من استخدام المنهج المناسب
في المواطن المناسب ، ولعل من هذه المواطن والحالات :

- ١ - حالة دعوة الجاهل : لأن الجاهل بحاجة إلى الرفق والاهتمام به ،
وتعليمه ما يفيد عن طريق ترغيبه بالعلم ، ووعده بالخير الكبير
من ورائه ...
- ٢ - حالة دعوة من تُجهلُ حاله ، ولا يُعرف مستوى إيمانه قوة أو ضعفاً ،
فيعمل الداعية على كشف حاله باستثارة عواطفه وكوامن نفسه ،
ليحدد الداعي حاجته ، ويختار الأسلوب الذي يناسبه .
- ٣ - في دعوة أصحاب القلوب الضعيفة كالنساء والأطفال ، واليتامى
والمساكين ، والمصابين والمرضى ... وما إلى ذلك ...
- ٤ - في دعوة الآباء للأبناء ، ودعوة الأبناء للآباء ، ودعوة الأقارب
والأرحام والأصدقاء فيما بينهم ...
- ٥ - في مواطن ضعف الدعوة ، والشدة على المدعويين ، ليحرك الداعية

مشاعر المعادين ، ويستميل قلوبهم لدعوته ، فيستجيبوا له ، أو يخفف
من شدتهم ويطشهم ...

إلى غير ذلك من مواطن لا تخفى على الداعية اللبيب .

من خصائص المنهج العاطفي :

للمنهج العاطفي مزايا وخصائص تخصه وتتناسب مع طبيعته

وأهدافه ... من ذلك :

- ١ - لطف أسلوبه ، واختيار العبارات المؤثرة .
- ٢ - سرعة تأثير المدعويين به ، واستجابتهم لمن يحسن استخدامه .
- ٣ - تخفيف وطأة العدو أو المخالف ، ودفع أذاه .
- ٤ - سرعة التحول في آثاره تبعاً لتحول العواطف والمشاعر ...
- ٥ - سعة دائرة استعماله ، لأن الطابع العاطفي في الناس أغلب من غيره .

إلى غير ذلك من خصائص ومزايا تظهر من المقارنة له بغيره من

المنهج .

* * *

٢ - المنهج العقلي :

تعريفه :

يمكننا تعريف المنهج العقلي بتعريفين أيضاً ، هما :

أ - (النظام الدعوي الذي يركز على العقل ، ويدعو إلى التفكير والتدبر والاعتبار) .

ب - (مجموعة الأساليب الدعوية التي تركز على العقل ، وتدعو إلى التفكير والتدبر والاعتبار) .

وذلك لأن النظام الدعوي لا يظهر إلا بمجموعة أساليبه المطبقة له .

أبرز أساليبه :

من أبرز أساليب المنهج العقلي ما يلي :

١ - المحاكمات العقلية ، والأقيسة بجميع أشكالها : قياس الأولى ، والقياس المساوي ، وقياس الخلف (العكس) والقياس الضمني ... فمن أمثلة قياس الأولى : قوله تعالى :

﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكثُوا أَيْمَانَهُمْ ، وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ ، وَهُمْ بَدَوُكُمْ أَوْلَ مَرَّةٍ ، أَتَخْشَوْنَهُمْ ، فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

وقوله ﷺ في حديث الأمر بحفظ العورة ، لما قال له الصحابي الكريم :

« يا نبي الله : إذا كان أحدنا خالياً ؟ قال : فالله أحق أن يستحي

(١) الآية / ١٣ / من سورة التوبة .

منه الناس « (١) .

ومن أمثلة القياس المساوي : قوله ﷺ للشاب الذي استأذن بالزنا :
« أتحبه لأملك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداءك ، قال : ولا الناس
يحبونه لأمهاتهم . الخ » (٢) .

ومن أمثلة قياس الخلف : قوله ﷺ :

« وفي بضع أحدكم صدقة ، قالوا : يا رسول الله ، أيأتي أحدنا
شهوته ، ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام
أكان عليه وزر ؟ ، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر » (٣) .

ومن أمثلة القياس الضمني : قوله ﷺ في الصائم :

« إذا نسي فأكل وشرب ، فليتم صومه ، فإنما أطعمه الله وسقاه » (٤)
فقياس ضمناً الصائم الذي أكل وشرب ناسياً ، على الصائم الذي لم يأكل
ولم يشرب ... إلى غير ذلك من أمثلة (٥) .

(١) الحديث رواه الترمذي وقال : حديث حسن ، انظر « سنن الترمذي » (٢٧٦٩ و ٢٧٩٤) .

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد في « المسند » عن أبي أمامة رضي الله عنه (٢٥٦/٥ و ٢٥٧) ،
وقال عنه الهيثمي في « مجمع الزوائد » : رواه أحمد والطبراني في الكبير ، ورجاله رجال
الصحيح . (١٢٩/١) .

(٣) الحديث رواه مسلم وأحمد وأبو داود ، انظر « صحيح مسلم بشرح النووي » (٦٩٧/٢)
و « مسند أحمد » (١٦٧/٥ و ١٦٨) و « سنن أبي داود » رقم (١٢٨٥ و ٥٢٤٢) .

(٤) الحديث متفق عليه : انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (١٩٣٣) (١٥٥/٤) ،
و « صحيح مسلم بشرح النووي » (٣٥/٨) .

(٥) راجع بحث « تطبيقات الرسول ﷺ للمنهج العقلي في الدعوة » للباحث : محمد بن عبد الله
ابن علي العثمان ، الذي قدمه بإشرافي لنيل درجة الماجستير لتقسيم الدعوة والاحتساب في
المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة ، عام ١٤٠٩ هـ ، من ص : (٢٦ - ٧٥)
ففيه أمثلة كثيرة على استعمال هذا الأسلوب .

٢ - الجدل والمناظرة والحوار : وسيأتي الحديث عن الجدل وأشكاله
في مبحث الأساليب الدعوية في الفصل الرابع (١) .

٣ - ضربُ الأمثال بأنواعها صريحةً كانت أو كامنَّةً ، أو أمثالاً
سائرة ...

ومن أمثلة الأمثال الصريحة قوله تعالى :

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً ... الآيات ﴾ (٢) .

وقوله ﷺ :

« مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا ، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا
عَلَى سَفِينَةٍ ... الحديث » (٣) .

إلى غير ذلك من أمثلة صرَّحَ فيها بلفظ المثل ، أو بما يدل على
التشبيه ... قال تعالى :

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ، لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٤) .

ومن الأمثال الكامنة ، قوله ﷺ :

« مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شَبْرًا فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ » (٥) يقول

(١) انظر تفصيلاً لهذا الأسلوب في البحث السابق « تطبيقات الرسول ﷺ للمنهج العقلي في

الدعوة » من ص (٧٦ - ١١٣) .

(٢) الآيات / ١٧ - ٢٠ / من سورة البقرة .

(٣) الحديث رواه البخاري والترمذي ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (١١١/٣) وسنن
الترمذي (٢١٧٣) .

(٤) الآية / ٢١ / من سورة الحشر .

(٥) الحديث رواه أبو داود وأحمد والحاكم عن أبي ذر رضي الله عنه ، انظر « سنن أبي داود »

(٤٧٥٨) و « مسند أحمد » (١٣٠/٤) و (١٦٥/٥ و ١٨٠ و ٣٤٤) وقال الحاكم :

وقد روي هذا المتن عن عبد الله بن عمر بإسناد صحيح على شرطهما . (١١٧/١) .

الإمام الخطابي :

« الرِّبْقَةُ : ما يُجعلُ في عنق الدابة كالطوق يُمسكها لئلا تشرود ،
يقول : من خرج عن طاعة الجماعة ، وفارقهم في الأمر المجمع عليه ،
فقد ضل وهلك ، وكان كالدابة إذا خلعت الربقة التي هي محفوظة بها ،
فإنها لا يؤمن عليها عند ذلك من الهلاك والضياع » (١) . إلى غير ذلك
من أمثال لم يُصرِّح فيها بلفظ التمثيل .
ومن الأمثال السائرة ، قوله ﷺ :

« مَنْ خَافَ أَدْلَجَ ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزَلَ ، أَلَا إِنَّ سَلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ ،
أَلَا إِنَّ سَلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ » (٢) وغيره مما صار مثلاً سائراً بين الناس (٣) .

٤ - القصص التي يغلب عليها الجانب العقلي ، وتساق من أجل

الاعتبار بها ، قال تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (٤) وقال :

﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٥) .

(١) « معالم السنن » انظر حاشية « مختصر سنن أبي داود » للمنزري (١٤٨/٧ و ١٤٩) .

(٢) الحديث رواه الترمذي والحاكم في مستدركه وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

انظر « سنن الترمذي » (٢٤٥٠) و « مستدرک الحاكم » (٣٠٨/٤) وصححه في

و التلخيص على المستدرک » . انظر الحاشية (٣٠٨/٤) .

(٣) انظر تفصيلاً لهذا الأسلوب في البحث السابق « تطبيقات الرسول ﷺ للمنهج العقلي في

الدعوة » من ص (١١٤ - ١٧٢) .

(٤) الآية / ١١١ / من سورة يوسف عليه السلام .

(٥) الآية / ١٧٦ / من سورة الأعراف .

ومن هذا الأسلوب ما قصه القرآن الكريم علينا من قصص الأولين (١) .
وما قصه الرسول ﷺ على أصحابه من قصص الأمم السابقة ، وهو
كثير في السنة (٢) .

مواطن استعمالات المنهج العقلي :

يستعمل المنهج العقلي في مواطن متعددة ، منها :

١ - في مواطن إنكار المدعويين للأمر الظاهرة ، والبدهييات العقلية ،
مثل قوله تعالى :

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴾ (٣) وقوله :

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ... ﴾ (٤) .

٢ - مع المعتدّين بعقولهم وأفكارهم من المدعويين ، لأنهم أسرع من
يتأثر بالمنهج العقلي السليم .

٣ - مع المنصفين من الناس ، البعيدين عن التعصب لأرائهم ، والمتجردين
من الأغراض الخاصة .

٤ - مع المتأثرين بالشبهات ، والمخدوعين بالباطل ،
وهكذا ، إلى غير ذلك من مواطن وأحوال لاتخفى على الداعية
الليبيب .

(١) راجع «القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه» للدكتور عبد الكريم الخطيب،
و «دراسات قرآنية» للأستاذ محمد قطب، و «الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية»
للأستاذ محمود السيد حسن مصطفى.

(٢) راجع «القصص في الحديث النبوي» للدكتور : محمد بن حسن الزبير .

(٣) الآية / ٣٥ / من سورة الطور .

(٤) الآية / ٢٢ / من سورة الأنبياء .

من خصائص المنهج العقلي :

للمنهج العقلي خصائص ومزايا تختلف عن خصائص غيره من المناهج الأخرى ، منها :

- ١ - اعتماده على الاستنتاجات العقلية ، والقواعد المنطقية ، والفطرية ...
 - ٢ - عمق تأثيره في المدعوين ، ورسوخ الفكرة التي يوصل إليها عن طريقه ، إذ ليس من السهل تغيير القناعة والأفكار .
 - ٣ - إفحام الخصم المعاند .
 - ٤ - ضيقُ دائرته بالنسبة لدائرة المنهج العاطفي ، وإن كان هذا الضيق أو السعة تختلف من قوم إلى قوم .
- لذا كان على الداعية الحكيم أن يحسن اختيار المنهج المناسب للموقف المناسب .

* * *

٣ - المنهج الحسي أو (التجريبي) :

تعريفه :

يمكننا تعريف المنهج الحسي بتعريفين أيضاً ، هما :

أ - (النظام الدعوي الذي يرتكز على الحواس ، ويعتمد على المشاهدات والتجارب) .

ب - (مجموعة الأساليب الدعوية التي تركز على الحواس ، وتعتمد على المشاهدات والتجارب) .

وذلك لأن النظام الدعوي لا يظهر إلا بمجموعة أساليبه المطبقة له .
ويطلق على هذا المنهج بعضهم مصطلح « المنهج العلمي » لاعتماده على العلوم التجريبية ، إلا أن تسميته بالحسي أو التجريبي أوضح وأدق .

أبرز أساليبه :

للمنهج الحسي أساليب عديدة ، منها :

١ - لَقْتُ الحسَّ إِلَى التَّعْرِفِ عَلَى المحسوسات ، للوصول عن طريقها إلى القناعات : كما في قوله تعالى :

﴿ وفي الأرض آياتٌ للموقنين * وفي أنفسكم أفلا تبصرون * وفي السماء رزقكم وما توعدون * قُورَبَ السَّمَاءِ والأَرْضِ إِنَّهُ لِحَقِّ مِثْلٍ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ (١) .

وقوله :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ

(١) الآيات / ٢٠ - ٢٣ / من سورة الذاريات .

أَنَّهُ الْحَقُّ ، أَوْلَمَ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿ (١) 》 .

٢ - أسلوب التعليم التطبيقي ، على وجه يشاهد المدعو كيفية تطبيق الفعل المأمور به ، والمدعو إليه ، كما فعل ﷺ في دعوته لتعلم الصلاة ، والحج ، فقد جاء في الحديث الشريف :
« صلوا كما رأيتموني أصلي » (٢) ، وجاء أيضاً :
« خذوا عني مناسككم » (٣) .

٣ - القدوة العملية في تعليم الأخلاق والسلوك : كما جعلَ اللهُ رسوله ﷺ قدوةً عمليةً للمؤمنين فقال :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٤) ، وكما وَجَّهَ رسوله ﷺ إلى ذلك ، فقال :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ... ﴾ (٥) .

ومن هنا جاء وصف خُلُقِ رسولِ اللهِ ﷺ بأنه القرآن ، ففي الحديث

(١) الآية / ٥٣ / من سورة فصلت .

(٢) الحديث رواه البخاري ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٦٣١ و ٦٠٠٨) و « الفتح » (١١١/٢) و (٤٣٨/١٠) .

(٣) الحديث ذكره في « جمع الفوائد » رقم (٣٣٧١) (٥٠٢/١) وقال عنه : للشيخين والنسائي .

(٤) الآية / ٢١ / من سورة الأحزاب .

(٥) الآية / ١٥٩ / من سورة آل عمران .

الشريف عن عائشة رضي الله عنها :

« ... فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن ... » (١) .

٤ - تغيير المنكر باليد ، وإزالته على وجه يشاهده صاحب المنكر ، ويُعدُّ هذا الإنكار أقوى درجات الإنكار ، كما جاء في الحديث الشريف :

« من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ... » (٢) وكما فعل ﷺ لما فتح مكة ، بالأصنام التي كانت حول الكعبة ، حيث طعنها بعُودٍ في يده فتساقطت على وجهها (٣) ، وبعث سراياه إلى الأوثان « اللات ، والعزى ، ومناة » فكُسرت (٤) .

٥ - تأييدُ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بالمعجزات الحسية والحوارق ، كما حدث مع كثير من الأنبياء السابقين ، ومع رسولنا ﷺ .

٦ - أسلوب « التمثيل المسرحي » وعرض بعض الأمور الدعوية على خشبة المسرح ، كما أصبح مألوفاً في هذا العصر ، وسيأتي معنا الحديث عن « التمثيل » في فصل : الوسائل الدعوية إن شاء الله .
وما إلى ذلك من أساليب تعتمد على الحس البشري ...

(١) جزء من حديث رواه مسلم برقم (١٣٩) وانظر « شرح النووي على مسلم » (٢٦/٦) .
وعزاه في « الفتح » لمسلم بلفظ « كان خلقه القرآن ، يفضب لفضبه ، ويرضى لرضاه » .
« فتح الباري » (٥٧٥/٦) .

(٢) الحديث رواه مسلم ، انظر « صحيح مسلم » (٤٩) .

(٣) انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٢٤٨٧) (١٦/٨ و ١٧) و « زاد المعاد » (٤٠٦/٣) .

(٤) « زاد المعاد » (٤١٣/٣) .

مواطن استعملاته :

- مواطن استخدام المنهج الحسبي عديدة متنوعة ، منها :
- ١ - في تعليم الأمور التطبيقية العملية والدعوة إليها ، وكلما كان الأمر المدعو إليه دقيقاً وهاماً ، كانت الحاجة إليه أشد ، كما فعل ﷺ في تعليم الوضوء ، والصلاة ، والحج ...
 - ٢ - يُستخدم في دعوة العلماء والمتخصصين في العلوم التطبيقية التجريبية ، ويعين في ذلك الاستدلال بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، مع ملاحظة ضرورة عدم التوسع في استخدام النصوص الشرعية لتأييد النظريات العلمية والفرضيات ، ويكتفى بالاستشهاد بها على الحقائق العلمية الثابتة ، وبأسلوب مناسب ^(١) .
 - ٣ - يستخدم في دعوة المتجاهلين للسنن الكونية ، والمنكرين للبهديات العقلية ، فإن المعاندين لاتفيد معهم إلا الحقائق المعتمدة على الملموسات والمحسوسات ، وعلى هذا الأساس جاءت كثير من معجزات الأنبياء والرسل عليهم السلام مادية محسوسة .
إلى غير ذلك من مواطن لاتخفى على الداعية ...

(١) راجع بحث « المنهج العلمي وأثره في الدعوة إلى الله » للباحث : فكري السيد عوض ، المقدم لنيل درجة الماجستير في قسم الدعوة في المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة ، عام ١٤٠٤ هـ .

وراجع بحث « آيات التخويف الكونية وأثرها في الدعوة إلى الله » للباحث : جمعان عبد الله سرور الغامدي ، الذي قدمه بإشرافي لنيل درجة الماجستير في قسم الدعوة بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية ، عام ١٤٠٦ هـ .

من خصائص المنهج الحسي :

من أبرز خصائص هذا المنهج الدعوي :

١ - سرعة تأثيره لاعتماده على المحسوسات التي يُسَلِّمُ بها كل إنسان عادة ، فإذا لم يسلم دَلٌّ ذلك على عناده وإصراره على باطله ، ومن هنا توعد الله عز وجل عباده الذين أصرّوا على كفرهم بعد رؤية المعجزات النبوية ، فقال سبحانه :

﴿ قال عيسى ابن مريم : اللهم ربنا أنزل علينا مائدةً من السماء ، تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا ، وآيةً منك ، وارزقنا وأنت خير الرازقين ﴾ قال الله : إني مُنزلُها عليكم ، فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ﴿ (١) .

كما كانت نتيجة معظم الأمم التي كذبت بمعجزات أنبيائها الهلاك والدمار .

٢ - عمق تأثيره في النفوس البشرية ، لمعاينتها الشيء المحسوس ، ومن هنا قيل : ليس الخبرُ كالعيان .

٣ - سعة دائرته ، لاشتراك الناس جميعاً في أنواع الحس أو بعضها ، لا يتخلف عن هذا كبير أو صغير ، ولا عالم أو جاهل ...

٤ - يُحتاجُ في استخدامه في كثير من المواطن إلى خبرة واختصاص ، فلا يحسنه جميع الدعاة ، ولا سيما إذا كانت الدعوة لطبقة العلماء المتخصصين في العلوم التطبيقية .

(١) الآيات / ١١٤ - ١١٥ / من سورة المائدة .

هذه هي أنواع المناهج الدعوية من حيث ارتكازها على النفس البشرية ، وقد أضاف بعضهم عليها نوعاً رابعاً أسماه : المنهج الفطري ، وقصد به المنهج المبسّط غير المعقّد .

والذي أراه في هذا : أن الفطرية (بمعنى التبسيط وعدم التعقيد) خصيصة من خصائص المناهج الدعوية كلها ، وليست منهجاً رابعاً من مناهج الدعوة ، وذلك لاعتماد المناهج الثلاثة السابقة على الفطرة الإنسانية ، لأن ركائزها هي (القلب ، والعقل ، والحس) من جهة ، ولأن كل منهج من هذه المناهج الثلاثة يمكن أن يكون مبسطاً أو معقّداً ، وذلك بحسب الموضوع وتبعاً لأسلوب الداعية ، من جهة أخرى ، والله أعلم .

* * *

المبحث الثالث

الملاح العامة للمناهج الدعوية ، وخصائصها العامة :

يمكننا تقسيم الملاح العامة للمناهج الدعوية إلى ثلاثة أقسام أساسية هي :

- ١ - الملاح العامة لمناهج الدعوة في جانب العقيدة .
 - ٢ - الملاح العامة لمناهج الدعوة في جانب الشريعة .
 - ٣ - الملاح العامة لمناهج الدعوة في جانب الأخلاق .
- وذلك لتكوّن الدعوة الإسلامية من هذه الجوانب الثلاثة .

١ - الجانب الأول :

الملاح العامة لمناهج الدعوة في جانب العقيدة :

يمكن إجمال هذا الجانب في ثلاثة أمور :

أ - تقرير العقيدة الصحيحة بمنهاج واضح بعيد عن المنهج الفلسفي ، والأساليب الكلامية :

فقد بادرت العقيدة الإسلامية بتوضيح حقائق الأمور الغامضة في هذا الكون ، ولم تتركها للعقل البشري يستنتجها ويخوض فيها تلقائياً صيانة له عن الضلال ، وإكراماً له بالهداية ،

وهذه الأمور الغامضة الكبرى لاتعدو تسعة أمور أساسية هي :

(١ - ٦) - أركان الإيمان الستة التي صرح بها حديث جبريل عليه

السلام ، وهي :

الإيمان بالله ، والملائكة ، والكتب السماوية ، والرسل ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره من الله تعالى .

٧ - الوقوف على حقيقة الإنسان ، وأصل خلقته ، وطبيعته ، ووظيفته ، لأنه المخاطب بهذه العقيدة .

٨ - الوقوف على حقيقة العالم الظاهر المحيط به في هذا الكون ، من سماوات وأرض وشمس وقمر وما إلى ذلك .

٩ - الوقوف على حقيقة العالم الخفي المحيط به ، كعالم الجن والشياطين ...

فقد أوضحت العقيدة الإسلامية بالقرآن والسنة هذه الأمور أحسن توضيح ، وبأسلوب واضح قريب من البشر جميعاً على مختلف مستوياتهم ، قائم على مخاطبة القلب والعقل والحس ، بعيد عن الفلسفات المادية ، والتعقيدات الكلامية .

قال تعالى :

﴿ وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ... ﴾ (١)

وقال :

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ، لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ، وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ

(١) الآية / ١٦٣ / من سورة البقرة .

عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿ ١١ ﴾ .

وقال أيضاً :

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ، كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ... ﴾ (١) .
وهكذا في جميع الآيات القرآنية والنصوص الشرعية المقررة لتلك الحقائق .

ب - تثبيت العقيدة في النفوس ، وتحسينها بأسلوب يرتكز على العقل والقلب معاً :

فبعد أن قرر المنهج الدعوي العقيدة الصحيحة ، عمل على تثبيتها في النفوس البشرية عن طريقين أساسيين :
١ - بيان الأدلة العقلية والنقلية التي تدل عليها :
قال تعالى :

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَكْدٍ ، وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ، إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ، وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ * عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٣) .

(١) الآية / ٢٥٥ / من سورة البقرة .

(٢) الآية / ٢٨٥ / من سورة البقرة .

(٣) الآية / ٢٢ / من سورة الأنبياء .

(٤) الآية / ٩١ - ٩٢ / من سورة المؤمنون .

٢ - مناقشة الشبهات المثارة حولها وردّها : قال تعالى :

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ، قَالَ : مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ؟ ! ﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ! بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿ (١) ، وفي سورة « يس » وغيرها نماذج أخرى لهذه المناقشات والردود ... وقال تعالى :

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ، قَالَ : أُنْتَى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِثَّةً عَامًا ثُمَّ بَعَثَهُ ... الْآيَاتِ ﴾ (٢) .

٣ - إبطال العقائد الفاسدة السائدة في حياة الناس :

سواء في جانب الله عز وجل وصفاته ، أو في جانب ملائكته ورسله ، أو في جانب كتبه وآياته ، أو في جانب الإنسان وخلقته ، أو في جانب الجن والشياطين ، من ذلك قوله تعالى :

﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ * أَمْ اتَّخَذَ مَا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ * وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا

(١) الآيات / ٧٨ - ٨٣ / من سورة يس .

(٢) الآية / ٢٥٩ / من سورة البقرة

ضَرَبَ للرحمن مَثَلاً ظَلُّ وَجْهه مُسَوِّداً وهو كَظِيمٌ * أَوْ مَنْ يَنْشِؤُ
في الحلية وهو في الخِصَامِ غير مَبِينٍ * وجعلوا الملائكةَ الذين
هُمَّ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِثَاءً أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ ، سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ
وَسَأَلُونَ ... الآيات (١١) .

وإن هذه الملامح الثلاثة وغيرها في الجانب العقدي تؤكد لنا عدة
أمور :

أ - ضرورة التقيد بالمنهج الرباني في تقرير العقائد وتثبيتها ، والابتعاد
عن المناهج الكلامية التي تعقد الأمور وتثير الشبهات والمشكلات
في جانب العقيدة أكثر مما تزيلها ، والعمل على تجريد كتب العقيدة
الإسلامية من مثل تلك الأساليب والرجوع بها إلى أسلوب السلف
الصالح في عرض العقائد وتوضيحها .

ب - الاستفادة من الملامح الثلاثة العامة في تدريس العقيدة ، فلا
يكتفى بواحد منها ، فلا بد من تقرير العقيدة الصحيحة أولاً ، ثم
تثبيتها وتحسينها ، ثم العمل على إبطال العقائد الفاسدة من
حولها ...

ج - تنوع الكتابة في أمور العقيدة على وجه يفني بجميع المتطلبات ،
ويسد مختلف الحاجات التربوية ، فلا بد من الكتب الصغيرة
الموجزة بجوار الكتب الكبيرة المتخصصة ، والمتوسطة ... كما

(١) الآيات / ١٥ - ١٩ / من سورة الزخرف ، وانظر الآيات / ١٠٠ / الأنعام و / ٣٣ /
الرعد و / ١٥٨ / الصافات .

لابد من الكتابة بأساليب تناسب جميع المستويات ، وتجمع بين العاطفية
والعقلانية ، والنظرية والعملية... (١)

* * *

(١) انظر على سبيل المثال بعض الكتب الحديثة في العقيدة ، مثل « رسالة العقائد » للإمام
حسن البنا - رحمه الله - و « مجموعة العقائد » بأجزائها السبعة للوالد الشيخ أحمد
عزالدين البيانوني - رحمه الله - ، و « الإيمان » للشيخ عبد المجيد الزنداني ، وغيرها .

٢ - الجانب الثاني :

الملاح العامة لمناهج الدعوة في جانب الشريعة :

يمكن إجمال هذا الجانب في ثلاثة أمور أساسية ، هي :

أ - تقرير منهج توقيفي للعبادة وأساليبها .

ب - إقرار مالا يتعارض مع مقاصد الشريعة ، أو يحدث مفسدة في جانب المعاملات .

ج - وضع أصول وقواعد عامة لمعظم الأحكام الشرعية ، وفسح المجال للاجتهاد في التطبيقات العملية ، والأحكام الفرعية ...

الأمر الأول :

وهو : تقرير منهج توقيفي للعبادة وأساليبها :

فلما كانت العبادة تعاملاً مع الله عز وجل ، اقتضت أن تكون

العبادة توقيفية لادخل للاجتهاد في تشريعها وسنها ، فإن المرء قد

يُحسن وضع منهج يضبط علاقته بغيره من الناس ، لأن وضع المنهج

يستلزم معرفة وخبرة بالجانبين ، ولكنه لا يتصور أن يحسن العبد وضع

منهج للعلاقة مع الله جل جلاله .

ومن هنا : لما حاول بعض الصحابة رضوان الله عليهم بعقولهم

اختيار منهج عبادي لأنفسهم ، عندما تقالوا عبادة رسول الله ﷺ ،

وعللوا ذلك بمغفرة ذنوبه ﷺ ، فقال أحدهم : « أما أنا فأصلي الليل

أبداً ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال الآخر : وأنا أعتزل

النساء فلا أتزوج أبداً »^(١) . أنكر عليهم مقاتلتهم ومنهجهم ، وبين لهم

(١) هذه النصوص جزء من حديث متفق عليه ، سبق تخريجه في ص / ١٨٩ .

المنهج الصحيح وقال : « فمن رغب عن سنتي فليس مني » (١) .
 ولما رغب عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه بكثرة
 العبادة ، والزام نفسه بمنهج متشدد فيها ، وقال :
 « والله لأصومن النهار ، ولأقومن الليل ماعشت » (٢) قال له ﷺ :
 « فلا تفعل : صُمْ وَأَفْطِرْ ، وَتَمْ وَقَمْ ، فَإِنْ لَجَسَدَكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنْ
 لَعَيْنَكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنْ لَزَوْجَكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنْ لَزَوْرَكَ عَلَيْكَ حَقًّا ...
 الحديث » (٣) .

وقد ذكر القرآن الكريم إنكار الله عز وجل على من شرع عبادة
 لنفسه ، فقال سبحانه :

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ،
 وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِّبَ بَيْنَهُمْ ، وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤) .
 وقال أيضاً :

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ ، وَلَا سَائِبَةٍ ، وَلَا وَصِيلَةٍ ، وَلَا
 حَامٍ ، وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ ، وَأَكْثَرُهُمْ
 لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٥) .

والتوقيف في جانب العبادة ، يشمل المنهج والأسلوب والوسيلة .

(١) هذه النصوص جزء من حديث متفق عليه ، سبق تخريجه في ص / ١٨٩ .
 (٢-٣) جزء من حديث شريف متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم
 (١٩٧٥ و ١٩٧٦) و « الفتح » (٤ / ٢١٧ و ٢٢٠) و « صحيح مسلم » رقم
 (١١٥٩) .

(٤) الآية / ٢١ / من سورة الشورى .

(٥) الآية / ١٠٣ / من سورة المائدة .

الأمر الثاني :

وهو : إقرار ما لا يتعارض مع مقاصد الشريعة ، أو يحدث مفسدة في جانب من المعاملات :

وقد بين العلماء مقاصد الشريعة الإسلامية في مواطن كثيرة ، وقد أجملها الإمام الشاطبي في الموافقات في تحقيق الضروريات والحاجيات والتحسينيات ، فقال :

« تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق ، وهذه المقاصد لاتعدو ثلاثة أقسام ، أحدها : أن تكون ضرورية ، والثاني : أن تكون حاجية ، والثالث أن تكون تحسينية .

فأما الضرورية : فمعناها : أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا ، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة ، بل على فساد وتهاجر وفوت حياة ، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم ، والرجوع بالخسران المبين .

والحفظ لها يكون بأمرين : أحدهما : ما يُقيم أركانها ويثبت قواعدها ، والثاني : ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها ... ومجموع الضروريات خمسة : وهي : حفظ الدين ، والنفس ، والنسل ، والمال ، والعقل .

وأما الحاجيات : فمعناها : أنها مُفْتَقَرٌ إليها من حيث التوسعة ، ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب ...

وأما التحسينيات : فمعناها : الأخذ بما يليق من محاسن العادات ، وتجنب الأحوال المندسات التي تأنفها العقول الراجحات ...

وهذه الأمور الثلاثة جارية في العبادات ، والعادات ، والمعاملات ،
والجنايات « (١) .

فأي تعامل لا يتعارض مع هذه المقاصد ، ولا يحدث مفسدة في
باب التعامل أقره الإسلام ، وسمح به ، وأي تعامل يتعارض مع شيء
من هذه المقاصد ، أو يسبب نزاعاً أو مفسدة بين المتعاملين ، حرمه
الشارع ونهى عنه ،

وإن نظرة متفحصة في باب المعاملات في كتب الفقه ، ووقفة على
البيوع الصحيحة والفاصلة تؤكد هذا الملمح ، فكما قرر الإسلام حل البيع ،
والتجارة وأنواعاً من الشركات ، حُرِّم الربا ، ونهى عن بيوع الغرر ، وعن
صور من التعامل المؤدية إلى النزاع بسبب جهالة أو غيرها ... كما قيد
بعض التعاملات بشروط تدفع ذلك الغرر الواقع ، أو النزاع المتوقع ،
كما فعل في السلم ، فقال ﷺ :

« من أسلف في ثمر ، فليُسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى
أجل معلوم » (٢) .

الأمر الثالث :

وهو : وضع أصول وقواعد عامة لمعظم الأحكام الشرعية ،
وفسح المجال للاجتهاد في التطبيقات والأحكام الفرعية :
جعل الشارع أدلة الأحكام الشرعية نوعين :

(١) انظر « الموافقات » للشاطبي (٨/٢ - ١١) بشرح الشيخ عبد الله دراز .

(٢) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٢٢٤٠ و ٢٢٤١)

(٤٢٩/٤) و « صحيح مسلم بشرح النووي » (٤١/١١ و ٤٢) .

أ - أدلة تفصيلية جزئية بحسب الحوادث والمسائل .
ب - أدلة إجمالية عامة ، وقواعد كلية ، تندرج تحتها جزئيات كثيرة موجودة أو مستجدة في حياة الناس .

وذلك لأن المسائل والقضايا كثيرة متنوعة متطورة لا حد لها ، ولا يمكن للنصوص الشرعية مهما كثرت أن تستوعبها مسألة مسألة .
ومن أمثلة النوع الأول :

ما جاء في بيان حكم الوضوء والطهارة وبعض أعمال الصلاة ، وكثير من أحكام السنة .

ومن أمثلة النوع الثاني :

ما جاء كتنصوص عامة ، أو قواعد في القرآن أو السنة ، كقوله تعالى في بيان حل البيع إجمالاً ، وحرمة الربا إجمالاً : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ (١) .

وقوله سبحانه :

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ، وَالْإِثْمَ

وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ... ﴾ (٢) .

وقوله :

﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ (٣) .

(١) الآية / ٢٧٥ / من سورة البقرة .

(٢) الآية / ٣٣ / من سورة الأعراف .

(٣) الآية / ١٥٧ / من سورة الأعراف .

وقوله ﷺ :

« المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » (١) .

وقوله أيضاً :

« لا ضرر ولا ضرار » (٢) . وقوله « إنما الأعمال بالنيات » (٣) إلى غير ذلك من أمثلة .

وبهذا المنهج في بيان أدلة الأحكام الشرعية ، حقق الشارع الأصالة والمعاصرة للدعوة الإسلامية ، فما من قضية حدثت أو تحدث في حياة البشرية ، إلا ويجد العلماء والمجتهدون لها حكماً شرعياً ودليلاً عليها في نص شرعي أو في قاعدة كلية ...

* * *

(١) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (١٠) (٥٣/١) و « صحيح مسلم » رقم (٤٠) .

(٢) الحديث قال عنه الحافظ ابن حجر في « بلوغ المرام » : رواه أحمد وابن ماجه ، وله من حديث سعيد مثله ، وهو في الموطأ مرسل ، انظر « سبل السلام شرح بلوغ المرام » للصنعاني (١١٨/٣) طبع جامعة الإمام .

(٣) الحديث متفق عليه : انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (١) (٩/١) و « صحيح مسلم » رقم (١٩٠٧) .

٣ - الجانب الثالث :

الملامح العامة لمناهج الدعوة في جانب الأخلاق :

يمكننا إجمال الملامح العامة في جانب الأخلاق فيما يلي :

١ - بيان الأخلاق الكريمة والنصُّ على أمهاتها : كالصدق ، والعدل ، والأمانة ...

٢ - بيان الأخلاق الذميمة ، والنصُّ على أمهاتها : كالكذب ، والجور ، والخيانة ...

٣ - وضع ضوابط ومعايير ثابتة تعرف بها الأخلاق الحميدة ، والتصرفات السليمة من غيرها ، وذلك مثل :

أ - قوله ﷺ :

« البرُّ حسن الخلق ، والإثم ما حاكَّ في نفسك ، وكرهت أن يُطَّلَع عليه الناس » (١) .

ب - وقوله ﷺ :

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (٢) .

ج - جعلُ الله عز وجل رسوله ﷺ أسوة للمؤمنين ، ووصَّفه له بأنه على خلق عظيم ، فقال عز وجل :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٣) وقال :

(١) الحديث رواه مسلم ، انظر « صحيح مسلم » رقم (٢٥٥٣) .

(٢) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (١٣) (٥٧/١) ، و « صحيح مسلم » (٤٥) .

(٣) الآية / ٤ / من سورة القلم .

﴿ لقد كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ... ﴾ (١) . وما إلى ذلك .

٤ - الدعوة إلى تحسين الأخلاق ومجاهدة الطباع ، وعدم اعتباره للطبع عذراً في ذلك ، ففي الحديث الشريف :
« وَخَالِقِ النَّاسِ بِخُلُقِ حَسَنٍ » (٢) . وفيه أيضاً : « أَحْسِنْ خُلُقَكَ لِلنَّاسِ يَا مَعْزَادَ بَنِي جَبَلٍ » (٣) . وعلى هذا تحمل الأحاديث النبوية الكثيرة الآمرة بالأخلاق الحسنة ، والمشجعة عليها ، والمبينة فضل أصحابها ، والمفصلة لأساليب علاج بعضها كالغضب مثلاً :
قال تعالى :

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ، ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ، وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٤) .

وفي الحديث : « إِنِّي لِأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ ، لَوْ قَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » (٥) .

(١) الآية / ٢١ / من سورة الأحزاب .

(٢) الحديث سبق تخريجه ص (١١١) .

(٣) الحديث سبق تخريجه ص (١٦٢) .

(٤) الآيات / ٣٤ - ٣٦ / من سورة فصلت .

(٥) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٦١١٥) (١٠ / ٥١٨) و

« صحيح مسلم بشرح النووي » (١٦٣ / ١٦) .

وجاء في أحاديث أخرى أمرُ الغاضب بالجلوس ، وإلا فبالاضجاع (١) ،
وأمره بالوضوء (٢) ، وما إلى ذلك .

وبهذه الملامح العامة في جانب الأخلاق ، يظهر تميز منهج الدعوة
الإسلامية في الأخلاق على غيره من المناهج الأخرى ، ولاسيما الذين
يقولون « بالنظرية النسبية في الأخلاق » فلا ثوابت عندهم في الأخلاق
ولا ضوابط صحيحة لها ... (٣)

* * *

(١) الحديث رواه الإمام أحمد وأبو داود ، انظر « المسند » (١٥٢/٥) و « سنن أبي داود »
رقم (٧٤٨٢) ، قال عنه الهيثمي : رجال أحمد رجال الصحيح (٧٠/٨ و ٧١) .

(٢) الحديث رواه أبو داود ، انظر « سنن أبي داود » (٤٧٨٤) (٢٤٩/٤) ط : محيي الدين
عبد الحميد .

(٣) راجع هذا الموضوع في كتاب « الأخلاق الإسلامية » للأستاذ : عبد الرحمن حسن حينكة
الميداني (٩١/١ - ٩٨) . وقف في هذا الكتاب على فوائد كثيرة ، وأسلوب جديد
مفيد في عرض الأخلاق الإسلامية .

الخصائص العامة للمناهج الدعوية :

بعد أن وقفنا على الملامح العامة لمناهج الدعوة في جوانب متعددة ،
آن لنا أن نقف على بعض الخصائص العامة لهذه المناهج ، المنبثقة عن
خصائص الدعوة الإسلامية نفسها ، فإذا كانت الدعوة تقوم على الأصول
والمناهج والأساليب والوسائل ، فإن خصائص الدعوة الإسلامية تظهر في
خصائص كلٍ من هذه الأصول والمناهج والأساليب والوسائل الدعوية ...
لذا ، لأريد أن أقف على خصائص الأدلة والمصادر التي تحدثنا
عنها في أصول الدعوة ، كالربانية ، والكمال ، والوضوح ، والشمول ،
والتوازن ، والعملية ،

وإنما أكتفي بذكر ثلاث خصائص تتجلى في المناهج إضافة على
تلك الخصائص السابقة ، وهي : الانضباط ، والتدرج ، والاستمرار .

١ - خصيصة الانضباط :

وتعني : « الالتزام بالأحكام الشرعية »
فإن الداعية ملتزم بالأحكام الشرعية في جميع أموره وتصرفاته ،
سواء في وضع مناهجه ، أو في اختيار أساليبه ووسائله ...
فالمناهج البشرية التي يضعها الدعاة للناس ، لا بد أن تكون منبثقة
عن المناهج الربانية التي جاء بها الكتاب والسنة ، ولا يتصور أن يتمكن
بشرٌ ما من وضع منهج أهدى وأقوم من منهج الله عز وجل ، قال تعالى :
﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ ^(١) .

(١) الآية / ٩ / من سورة الإسراء .

وذلك في جميع مناحي الحياة ، لأن الله الخالق هو العليم وحده بما يصلح الخلق ويسعدهم في دنياهم وأخراهم ... ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ! ﴾ (١) .

والانضباط بالحكم الشرعي درجات متفاوتة ، يتفاوت فيها المسلمون عامة ، فعلى الدعاة أن يحرصوا على أعلى درجات هذا الانضباط ، وذلك لتسلك دعوتهم ، وينجح عملهم ، وإن الانحراف عن منهج الله في الدعوة ، أو الخروج عن أحكام الشريعة في المنهج قد يصل بالمرء إلى الخروج كلياً عن هذا الإسلام أو يوقعه في شيء من الضلال أو الفسق ، وذلك بحسب زاوية انحرافه ، وطبيعة الموضوع الذي خالف فيه ...

لذا ، كان على الداعية أن يحرص على الانضباط الكامل في نفسه ، ويدعو الآخرين إلى ذلك بحسب درجة انحرافهم عنه ، فيدعو المنحرف إلى حرام إلى تركه واجتنابه ، كما يدعو الواقع في المختلف فيه إلى العمل بالمتفق عليه ، ويدعو الآخذ بالمفضول إلى الآخذ بالفاضل وهكذا دون إفراط أو تفريط ...

٢ - خصيصة التدرج :

الأصل في المناهج أن تكون متناسبة مع من وضعت لهم ، وذلك بحسب الأعمار والأحوال والمستويات ... ومن هنا تعددت شرائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومناهجهم ،

(١) الآية / ١٤ / من سورة الملك .

قال تعالى :

﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا ﴾ (١) .

ومن هنا : نزل القرآن الكريم على الرسول ﷺ متدرجاً ، قال

تعالى :

﴿ وقال الذين كفروا : لولا نُزِّلَ عليه القرآنُ جُمْلَةً واحدةً ،

كذلك لَنُثَبِّتَ به فؤادك ، ورتَّلناه ترتيلاً ﴾ (٢) .

وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها :

« إنما نزل أول ما نزل منه - أي : من القرآن الكريم - سورة من

المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام ، نزل

الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر ، لقالوا : لاندع

الخمر أبداً ، ولو نزل : لاتزنوا ، لقالوا : لاندع الزنا أبداً » (٣) .

فقد كان منهج القرآن البدء بتفصيل أمور العقيدة وتشبيتها ، ثم

بيان الأحكام الشرعية شيئاً بعد شيء ، حتى نزل قوله تعالى :

﴿ اليومَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ

لكم الإسلامَ ديناً ﴾ (٤) .

فقد كمل الدين ، وقمت النعمة ، بما نزل من أحكام في القرآن

(١) الآية / ٤٨ / من سورة المائدة .

(٢) الآية / ٣٢ / من سورة الفرقان .

(٣) الحديث رواه البخاري في باب تأليف القرآن ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٤٩٩٣)

(٣٩/٩) .

(٤) الآية / ٣ / من سورة المائدة .

الكريم ، ويمتدح التدرج الذي نزل به ، ولو نزل دفعة واحدة ، لشق الأمر على الناس ، وصعب عليهم امتثال أحكامه . وفي هذا درس بليغ للدعاة ليتدرجوا في مناهجهم ، ويكونوا عوناً للناس على تطبيقها وامتثالها . وقد تنبّه لهذه الخصيصة أسلافنا الصالحون ، فساورا على نهج التدرج في الأمور حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه ،

روى الشاطبي في الموافقات : « أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز - رحمهما الله - قال يوماً لأبيه عمر : مالك لا تُنفذ الأمور ؟ ! فوالله ما أبالي لو أن القدر غلّت بي وبك في الحق ! ! »
قال عمر : لا تعجل يا بني ، فإن الله ذم الخمر في القرآن مرّتين ، وحرّمها في الثالثة ، وإنّي أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة ، فيدفعوه جملة ، ويكون من ذا فتنة » (١) .

٣ - خصيصة الاستمرار :

الأصل في المناهج الدعوية أن تكون مستمرة لاتنقطع أو تتوقف في مرحلة من مراحل الدعوة ، أو في مستوى من مستويات الدعاة ... لأن الدعوة الإسلامية حركة مستمرة على مستوى التبليغ والتعليم والتطبيق ، لاتتوقف مادامت هناك حياة للبشر ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ...

(١) انظر « الموافقات » (٢/٩٣ و ٩٤) ، وهو في « حلية الأولياء » لأبي نعيم (٥/٢٨١) ، وفي « مناقب عمر » لابن الجوزي ص : ٨٨ ، ونقله القرطبي في كتاب « بينات الحل الإسلامي » ص : ٨٨ .

قال تعالى : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ (١) وقال أيضاً :
 ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى
 الدِّينِ كُلِّهِ ... ﴾ (٢) .

وبناء الشخصية المسلمة ، والمجتمع المسلم عملية مستمرة متروية
 لاتقف عند حد مُعيّن ، فكل داعية بحاجة إلى نُموٍّ دائم ، ورقّي مستمر ،
 حتى يستمر عطاؤه ، ويدفع غيره إلى الكمال والرقّي ، وقد وجه الله عز
 وجل رسوله ﷺ إلى طلب الزيادة في العلم ، فقال له :

﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (٣) ، وجاء في الحديث الشريف :
 « إن الله عز وجل تابَع الوحيَ على رسول الله ﷺ قبل وفاته ،
 حتى تُوفِّيَ أكثر ما كان الوحي » (٤) ، وفي الحديث أيضاً :
 « لَنْ يَشْبَعَ مؤمن من خير حتى يكون منتهاه الجنة » (٥) .

ولم يعرف أسلافنا - رحمهم الله - توقفاً عن العلم والتحصيل
 والترقي في الخير في سِنِّ معينة ، كما لم يعرف فيهم من ظن بنفسه أنه
 استغنى عن الأخذ والتحصيل ، واكتفى بالعطاء ، كما يحدث لبعض
 الدعاة في زماننا ،

(١) الآية / ٩٩ / من سورة الحجر .

(٢) الآية / ٣٣ / من سورة التوبة .

(٣) الآية / ١١٤ / من سورة طه .

(٤) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٤٩٨٢) (٣ / ٩) .

« صحيح مسلم » رقم (٣٠١٦) .

(٥) الحديث رواه الترمذي وقال : حديث حسن ، انظر « سنن الترمذي » (٢٦٨٧) .

روى الخطيب البغدادي بسنده عن الإمام أبي حنيفة - رحمه الله -
أنه قال :

« من ظن أنه يستغني عن التعلّم فليبيك على نفسه » (١) .
لذا ، فإن على الدعاة أن يحرصوا على الزيادة في الخير ، فيعملوا
على تنمية عقولهم ، والترقي بقلوبهم وأحوالهم ، ليزيد عطاؤهم ، ويعظم
أثرهم .

وعلى الجماعات الإسلامية أن تضع المناهج التربوية لجميع أفرادها
وعلى جميع مستوياتهم ، لتبقى في نمو دائم ، وترقّ مستمر ،
إلى غير ذلك من خصائص فرعية ، يندرج كثير منها تحت الخصائص
العامة للمناهج ... (٢)

* * *

(١) انظر « الفقيه والمتفقه » (٤١/٢) ، وقف فيه على سبب ورود هذا القول عن الإمام ،
ففيه درس وعبرة .

(٢) راجع في هذا رسالة « هذه الدعوة ما طبيعتها ؟ » للشيخ عبد الله علوان رحمه الله ، نشر
دار السلام .